زوايا القدس.. قِبلة العارفين ومركز الصوفية البسطامية منهج «صُلح الكل».. و«الهندية» تقاوم خطر التهويد

أ. أشرف عزب

كاتب صحفي

مقدمة:

تم الإكثار من بنـــاء الزوايا[1] والربط [2] والخوانـــق[3] في العهد المملوكي، وكان نصيب القـــدس منها كبيرًا، لقد تحولت القدس إلى محور جاذب للعارفين والمتصوفة، مثل الشـــيخ تقي الدين أبو الصدق الحلبي الطولوني البســـطامي[4] شيخ المدرسة الطولونية الذي أمضى حياته في القدس، والشـــيخ شـــهاب الدين أبو العباس الرملي المقدسي الشـــافعي[5] الذي

(1) الزاوية في الأصل مبنى أو مسجد صغير للصلاة والعبادة، ولكن لفظ زاوية تطور معناه فأصبح يقصد به أحيانًا الخانقاه أو منزل الصوفية.

(2) الربـــاط في الأصل هو المكان المحصن الذي يقام قـــرب الحدود ويرابط به جماعة من المجاهدين لمهاجمة الأعـــداء أو دفـــع خطرهم، وكان أهل الرباط يجمعون بـــين حياة الجهاد والحياة الدينيـــة، وقد أدى ازهار التصوف في العصر المملوكي أن يفقد الرباط طابعه الحربي وتغلبت عليه بالتالي الصفة الدينية.

(3) الخانقاه لفظ مأخوذ عن الفارســـية، ومعناه البيت الذي ينزل فيـــه الصوفية، وقد بنيت الخانقاوات في بيت المقدس منذ العهد الأيوبي. (انظر تاريخ بيت المقدس في العصر المملوكي، الدكتور محمد حافظ النقر).

(4) توفي 843 هـ.

(5) توفي 844 هـ.

اشــتهر عند مريديه بكراماته الظاهرة، وقد ترك الإفتاء وأقــام في الزاوية الختنية وراء قبلة المسجد الأقصى، والشيخ محمد فولاد بن عبد الله[6] الذي انقطع للعبادة في المسجد الأقصى، ويُحكى عنه أنه حج ســتين حجة، مشــاها في الغالب على قدميه، وروى عنه مريدوه الكثير من الكرامات والمكاشفات، وكان بوابًا في الخانقاه الصالحية ودفن في بيت المقدس، والشيخ علاء الدين أبو الحســن صفي الدين الأردبلي العجمي[7] الذي اعتبر شيخ الصوفية، وكان والده متصوفًا من أصحاب الكرامات عند مريديه، والشــيخ عبد الله الزرعي الدمشقي[8] الــذي جذبته كرامات بيت المقدس ومات فيه، والشــيخ شــمس الدين محمد بن عيســى البسطامي الشــافعي[9]، كان من فقراء البســطامية الصوفية، والشيخ أحمد بن داود الملقب بالكبريت الأحمر الشــهير بالكريــدي[10] وقد كان له مريدون كثــيرون، واعتبر والداه من رجال الوقت والخوارق، ووصفا بعمدة الأرض المقدسة وما حولها، وكان المريدون يروون عنهما أن السباع تخشاهما، والشيخ أبو بكر بن علي الشيباني الموصلي[11]، وكان من كبار أولياء عصره، وجمع بين علمي الشريعة والحقيقة، ولجلال قدره كان السلطان برقوق يزوره بجوار المسجد الأقصى، ودفن في القدس.

لقد كانت الإقامة في القدس شرفًا ما بعده شرف لكثير من العلماء والمتصوفة المســلمين، فهذا هو قاضي القضاة برهان الدين بن جماعة[12] قد عزل نفســه حين اســتدعاه الســلطان ليكون قــاضي القضاة في مصر، مفضــلًا البقاء في القدس، حيث جمع التفاســير في عشرة

(6) توفي 844 هـ.

(7) توفي 832 هـ.

(8) توفي 848 هـ.

(9) توفي 875 هـ.

(10) توفي 723 هـ.

(11) توفي 797 هـ.

(12) توفي 790 هـ.

مجلدات، وتولى الخطابة في المسجد الأقصى.

يمكـــن النظر إلي مجمل المـــدارس والزوايا والخانقاوات التي تم إنشـــاؤها حول الحرم، كمحاولة لتأكيد الهوية الإســـلامية للحرم القدسي وما حوله بعد صراعٍ دامٍ مع الصليبيين؛ مُنع المسلمون فيه علي مدى تسعين عامًا من دخول القدس، وأتت الحركة الصوفية لتعوض ذلك الانقطاع ببذل أعلي درجات الالتصاق بمعاني القدس وهو الالتصاق الباطني الروحي ما فوق الفقهي، ولا ريب أن القدس قد غـــدت بفعل تدفق المتصوفة إليها أحد أهم مراكز الحركة الصوفية في العالم الإسلامي في القرن الرابع عشر الميلادي[13].

غير أن مريدي الطرق الصوفية، وإن كانوا قد نذروا حياتهم لمكاشـــفة الأســـمى الذي تشـــكل القدس بوابته، فإنهم لم يديروا ظهورهم للعالم كما هو الحال في النســـكية المســـيحية على حد تعبير أرمســـترونغ[14]، فقد اعتبرت الطريقة القادرية التي اتخذت مركزها الرئيسي في مجمع المشـــفى القديم، أن العدالة الاجتماعية أســـمى الواجبـــات الدينية، لأن المجاهدة الروحية والباطنية يجب أن تمتزج لديها بالتعاطف العملي[15] وركزت البسطامية على برنامج يدعى «صلح الكل» لتمكين أتبـــاع الديانات المختلفة من فهم بعضهم بعضًا بعد قرون من الكراهية.

وهكـــذا حملت الصوفية الإســـلامية في القدس خصائص يمكن تســـميتها بالخصائص المقدســـية التي انبجست لدى المتصوفة في كل شـــبر وزاوية وحجر من المسجد الأقصى وما حوله بوصفها بقعة سماوية[16].

(13) الطريق إلى القدس، تأليف شمس الدين الكيلاني، محمد جمال باروت، المحرر العام د. سلمى الخضراء الجيوشي.

(14) كاترين أرمسترونغ، أرمسترونغ مدينة واحدة ثلاث عقائد.

(15) الطريق إلى القدس.

(16) الطريق إلى القدس، أرمسترونغ مدينة واحدة ثلاث عقائد.

الزاوية البسطامية:

ذكر مجير الدين الحنبلي زاويتين باسم الزاوية البسطامية، الأولى واقعة في ساحة الحرم شرقي صحن الصخرة المشرفة، وأضاف مجير الدين الحنبلي أنه قد سُدَّ بابها في عصره[17]، أما الثانية فهي بحارة المشارقة[18] «الحارة السعدية»[19]، وكانت الأولى ملكًا مأنوسًا يجتمع فيه الفقراء بالبسطامية لذكر الله تعالى، والزاويتان معهدان من المعاهد العلمية الدينية في بيت المقدس، ولا شك أنهما تابعتان للطائفة البسطامية، ويمكن النظر إليهما على أنهما تعنيان بالتصوف وفق الطريقة البسطامية.

ولم يذكر شيئًا عن الزاوية الأولى أكثر مما تقدم، وذكر أن الثانية قد وقفت على المتصوفة الذين يذهبون مذهب الطريقة البسطامية، وقد وقفها الشيخ عبد الله بن خليل بن علي الأسد آبادي البسطامي[20]، الذي قدم من قريته وشارك في الدفاع عن القدس ضد غزو التتار والمغول زمن تيمورلنك[21]، وكان ذلك قبل سنة 770هـ، وهو صاحبها كما يذكر مجير الدين

(17) كنوز القدس الطبعة الأولى 1983 م.

(18) قد سميت بهذا الاسم نسبة إلى الشرقيين النصارى الذين أتوا من بلاد البلقان وسكنوها خلال فترة الاحتلال الصليبي، وأطلق عليهم اسم المشرقيين وعرفت محلتهم بمحلة المشارقة.

(19) حارة السعدية، الكائنة بين باب الساهرة والسور الشمالي للمسجد الأقصى، وتعتبر من بين أهم الحارات في البلدة القديمة في القدس.

(20) ولد عبد الله بن خليل الأسد آبادي جلال الدين البسطامي في بغداد، وتابع تعليمه في المدرسة السلطانية الشافعية، ثم اشتغل فيها، عندما حلّ الشيخ علاء الدين العسفي البسطامي ببغداد قادمًا من خراسان، اختار عبد الله خليل الأسد آبادي ملازمته وسلك طريقته الصوفية البسطامية.
شد الرحال برفقة شيخه علاء الدين البسطامي إلى الشام ثم إلى بيت المقدس، تاركًا وراءه وظيفته وكتبه التي أوقفها على طلابه قبل مغادرته العراق.
استقر عبد الله بن خليل في القدس، وعندما توفي شيخه علاء الدين البسطامي، تسلم مهمة تربية الأجيال من المريدين والطلاب.

(21) https: / /www.ajnet.me /encyclopedia /202420 /8 / /%D8%A7%D9%84%D8%B2%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A8%D8%B3%D8%B7%D8%A7%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%B7%D8%B1%D9%8A%D9%82-

الحنبلي[22]، تم تخصيص الزاوية للفقراء من أتباع الشـيخ عبـد الله وجعل لها أوقافًا، ولهذه الزاوية وقف، وقد وُقف عليها وعلى المقيمين بها من الفقراء في القدس[23].

وترجع تسـمية الزاوية بهذا الاسم نسـبة إلى الصوفي الزاهد المشهور أبي زيد طيفور بن عيسى البسطامي، نسبة لبسطام بلدة بين العراق وخراسان، ولد 188 هـ، وكان جده مجوسيًا ثم أسـلم، يعرف أتباعه بالطيفورية أو البسـطامية، وكانت وفاته سنة 261 هـ، وقيل 264 هـ[24]، انتقل أبي زيد طيفور إلى بغداد وأقام فيها زاوية أطلق عليها اسم «الزاوية البسطامية»، ولمـا توفي في القرن الثالث الهجـري، ترك وراءه تلاميذ ومريدين كُثـرًا أخذوا عنه طريقته الصوفية، وانتشروا بعد ذلك في مختلف بلاد الشام ومصر، حيث أسّسوا مجموعة من الزوايا تحمل الاسم نفسه.

وصف الزاوية البسطامية

تتكون الزاوية من بناء، له مدخل شـمالي بسـيط التكوين، وينخفض عن أرض الشارع العام قليلًا، وتحيط به مكسلتان حجريتان مستطيلتا الشكل، من كل جانبيه، ويؤدي المدخل إلى ساحة مكشوفة، ويحيط بها عدد من الغرف، ومسجد، وغرفة ضريح، والمسجد هو بيت للصلاة، ويقع في الجهة الشمالية المكشوفة، وهو مسجد مستطيل الشكل يمتد من الشمال إلى الجنوب، ويؤدي إليه مدخل بسـيط، يغطيه قبو نصف برميلي، وقد فتح في منتصف الجدار الجنوبي، محراب بسيط التكوين، وهو عبارة عن حنية مجوفة في الجدار الجنوبي منه.

%D8%A9-%D8%B5%D9%88%D9%81%D9%8A%D8%A9-%D9%81%D9%8A

(22) المـدارس في بيت المقدس في العصرين الأيوبي والمملوكـي، دورها في الحركة الفكرية، د. عبد الجليل حسن عبد المهدي.

(23) https: / /qudsinfo.com /pics /%d8%a7%d9%84%d8%b2%d8%a7%d9%88%d9%8a%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d8%a8%d8%b3%d8%b7%d8%a7%d9%85%d9%8a%d8%a9 /

(24) انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان، ج2 ص 531 (ط دار صادر بيروت، ت إحسلن عباس)، والموسوعة الصوفية ص 80: 86).

أما غرفة الضريح، فهي واقعة في الزاوية الشرقية الجنوبية من الساحة المكشوفة، والجهة الشرقيــة من بيت الصلاة، إذ يتوصل إليها من داخل بيت الصلاة بواســطة مدخل صغير، وهي غرفة مســتطيلة الشــكل تمتد من الشرق إلى الغرب، ويغطيها قبو نصف برميلي، وقد فتح لها محراب بســيط في جدارهــا الجنوبي، ويقوم في الزاوية الشرقيــة منها ضريح ذو بناء مستطيل الشكل، مرتفع البناء ويغطيه نســيج قماش، شأنه شأن معظم الأضرحة الموجودة في القدس[25].

ومن الكتب المنســوخة بالزاوية البســطامية: كتاب (الرياض النضرة في مناقب السادة العشرة)، تأليــف: محب الدين الطبري، أحمد بن عبد الله بن محمــد بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم، شــيخ الحرم المكِّي، الفقيه الشــافعي المُحدِّث الشاعر (ت 694 هـ)، بتاريخ أوائل ربيع الآخر ســنة 871 هـ: فرغ من كتابتها «أحمد بن محمد الحلبي البســطامي نزيل القدس الشريف بالزاوية البسطامية»[26].

شيوخها:

تولى مشيخة الزاوية البســطامية، التي وقفها الشيخ عبد الله البسطامي، عدد من العلماء الصوفية من أتباع الطريقة البسطامية.

وممن تولى مشيختها الشيخ الإمام علي الصفي البسطامي، وقيل: العسفي البسطامي[27]، وقد كان شيخ فقراء البســطامية بالقدس الشريف، وكان عالمًا، صالحًا، قدوة، زاهدًا، مربيًا للطالبين، مرشــدًا للســالكين، ولي الله في العالمين، وكان من الأولياء المشــهورين في بيت المقدس، ومن الطبيعي أنه كان يعقد مجالس الذكر، ويدرِّس التصوف، واســتمر كذلك إلى

(25) كنوز القدس الطبعة الأولى 1983 م.

(26) تاريخ معالم المســجد الأقصى المبارك في ضوء التراث الإســلامي المخطوط، إعداد يوسف بن محمد مروان بن سليمان الأوزبكي المقدسي.

(27) الأنس الجليل.

أن توفي في سنة 761هـ، في بيت المقدس، ودفن بحوش البسطامية.

وتولى مشيختها الشيخ جلال الدين عبد الله بن خليل بن خليل البسطامي، وكان الشيخ عبد الله قد تخرج على شـــيخه الشيخ علي الصفي، ثم قام مقام شيخه، بالزاوية البسطامية، في تربية المريدين، كما يقول ابن حجر العسقلاني[28].

وكان الشيخ جلال الدين قد نشأ في بغداد وتعلم فيها، ولما قدم الشيخ علي البسطامي من خراسان، صحبه، ولازمه، وسلك طريقه، وصحبه إلى الشام، ثم إلى بيت المقدس، وترك ما كان فيه ببغداد، «وكان معيدًا بالمدرسة السلطانية للشافعية فيها، ولكنه ترك وظائفه ووقف كتبه على الطلبة، وخرج مع شيخه على قدم التجريد، والمجاهدة بعد البزة والنعمة»[29].

أقام جلال الدين في بيت المقدس مقبلًا على أنواع المجاهدة، والرياضة، وعمل الخلوات إلى أن اشتهر أمره، وعلا شـــأنه [30]، ثم قام مقام شيخه في مشيخة الزاوية البسطامية، وبعد وفاة شيخه في سنة 761هـ، كما تقدم. وصار له تلاميذ، وأتباع، ومريدون، وانقاد له الخاص والعام. وممن تتلمذوا عليه، وتخرجوا به، الشيخ محمد الأطعاني[31].

ولا شك أنه أقرأ التصوف ولعله أقرأ رسالته، التصوف، وهي رسالة فيها آداب حسنة كما يقول ابن حجر العسقلاني، ولعله درَّس مصنفات أخرى من مصنفات غيره من المتصوفة.

واســـتمر الشيخ جلال الدين البسطامي يقوم بدوره هذا، إلى أن توفي في سنة 794هـ[32]،

(28) الدرر الكامنة.

(29) الدرر الكامنة 2/ 364، شذرات الذهب 6/ 333.

(30) الدرر الكامنة 2/ 364، شذرات الذهب 6/ 333.

(31) هو محمد بن أحمد بن محمد.... الحلبي، الأطعاني. ولد سنة 748هـ في حلب ونشأ وتعلم فيها، سافر إلى القدس، ولبس الخرقة من عبد الله البسطامي، ثم رجع إلى بلده، وانقطع بزاوية فيها، وتزهد وسلك طريق التصوف. وأخذ عنه جماعة، توفي سنة 807 هـ. (انظر الضوء اللامع 7/ 81).

(32) الأنس الجليل 2/ 162، شذرات الذهب 6/ 333.

وقيل في سنة 785هـ[33]، في بيت المقدس، وقد دفن بحوش البسطامية عند شيخه.

وتولى مشيختها الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الكردي الحلبي البسطامي الشافعي، فكان شيخ البسطامية بالقدس الشريف، وكان قد صحب عددًا من مشايخ المتصوفة، من أمثال الشيخ أبي بكر الطولوني، ثم صحب بعده الشيخ كمال الدين إمام الكاملية، وبعد ذلك استقر في مشيخة هذه الزاوية، واستمر كذلك إلى أن توفي في سنة 881هـ في بيت المقدس[34].

وفي سنة 881هـ/ 1476م، دخل الوباء بالطاعون حتى عمَّ جميع المملكة، وكان دخوله بيت المقدس في أوائل رجب، واستمر مدة طويلة، ولم يزل الطاعون بالقدس إلى مستهل ربيع الأول سنة اثنتين وثمانين، وأفنى خلقًا من الشباب والنساء وأهل الذمة، ولم يكن طال ببلدة من البلاد أكثر من بيت المقدس، وكان من بين الذين توفوا به: الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الحلبي الكردي[35].

كان الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد الحلبي الكردي صوفيًّا من صوفية الخانقاه الصلاحية، كما كان فقيهًا من فقهاء المدرسة الصلاحية، ومن الواضح أنه اشتغل بالعلم والتصوف.

ولم يقتصر دوره على هذا، فقد ذُكر أنه كان ينسخ الكتب بخط جيد، ومن الواضح أن دوره في الحركة الفكرية، تمثل في الاشتغال بالعلم في المدرسة الصلاحية، والاشتغال بالتصوف في الخانقاه الصلاحية، وتولى مشيخة التصوف بزاوية المغاربة ونسخ الكتب.

وقد استقر بالزاوية البسطامية، عدد من المتصوفة، منهم الشيخ شمس الدين محمد بن عيسى البسطامي الشافعي، ذكر مجير الدين الحنبلي أن الشيخ شمس الدين «كان رجلًا

(33) الدرر الكامنة 2/ 364.

(34) الأنس الجليل 2/ 197، 198.

(35) تاريخ الكوارث في بيت المقدس، تأليف بشير بركات، (الأنس الجليل 2بتاريخ القدس والخليل، 2/ 318).

صوفيًّا من فقراء البســطامية. كما كان واحدًا من جملة الصوفية بالمدرســة الجوهرية، وكان صوفيًّا بالخانقاه الصلاحية، وفقيهًا في المدرســة الصلاحية، ومن الواضح أنه اشتغل بالعلم والتصوف في المدرسة الصلاحية، والمدرسة الجوهرية، وفي الزاوية البسطامية، وفي الخانقاه الصلاحية.

واستمر شمس الدين يشــتغل بالعلم والتصوف في بيت المقدس إلى أن توفي فيه في سنة 875هـ[36].

خادم البسطامية الأعمى الذي فتح الله بصره

في كتاب الحضرة الأنســية في الرحلة القدســية[37] للشــيخ العارف عبد الغني النابلسي الحنفي، وهو الكتاب الذي ضمَّنَهُ وصفًا لرحلته إلى بلاد فلســطين في شــهر جمادى الآخرة سنة 1101هـ، آذار/ مارس سنة 1641م[38]، وتُعرف بالرحلة الصغرى، تمييزًا لها عن الرحلة الكبرى، رحلة مصر والحجاز، وقد وصف جميع البلاد التي زارها شعرًا ونثرًا، وتحدث عن الآثار العمرانية، ولاســيما آثار بيت المقدس بتفصيل تــام، وتناول تاريخها، وكان يولي قبور الصالحين والصحابة والأولياء عناية مميزة.

(36) الأنس الجليل 2/ 194.

(37) الحضرة الأنســية في الرحلة القدسية للشــيخ العارف عبد الغني النابلسي الحنفي تحقيق ودراسة أكرم حسن العُلبي.

(38) هو علامة الشــام، عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد إبراهيم النابلسي، كانت أسرته تعرف ببنى جماعة، ثم سكن إبراهيم نابلس فنسبوا إليها، ويقول الغزي إن نسبهم ينتهي إلى الفاروق عمر بن الخطاب، مرورًا بشيخ الإسلام الموفق بن قدامة الحنبلي. وكان الشيخ إسماعيل الأب، فقيهًا شاعرًا، درس في كبريات مدارس دمشــق القيمرية والســليمية والجامع الأموي، وقد توفي بدمشق سنة 1602هـ، وهو لم يتجاوز الخامســة والأربعــين، وكان ابنه عبد الغني في الثانية عشرة، وقــد دفن في مقابر الأسرة في مدخل مقابر الباب الصغير في دمشــق قبالة جامع جرَّاح، وقد زاره ابنه الشــيخ عبد الغني في بداية رحلته هذه.

يروي لنا الشيخ العارف عبد الغني النابلسي[39] الحنفي تفاصيل اليوم الرابع والعشرين من الرحلة وزيارته إلى الزاوية البسطامية، وقصة خادم ذلك المكان من الزاوية الذي أصيب بالعمى وفتح الله بصره، يقول:

«وكان ذلك اليوم يوم الأربعـــاء الرابع والعشرين من أيام هذه الرحلة التي عمر بها كل واحد منا بالمثوبات رَحْلَهُ، وحثّ للمســـير رجله، قانعًا من الزاد بخبزةٍ ورجْلةٍ، فذهبنا مع جماعتنا بكرة النهار، إلى ضيافة رجل من الصالحين الأخيار، ومعنا طائفة من أفاضل البلاد، ذوي كمال واستعداد، إلى المدرسة القادرية حتى دخلنا منها إلى مساحة فضية، كأنها مصوغة من النور، وجلســـنا في ذلك الجامع الذي هو الفارق للحزن الجامع، وحضر عندنا الشـــيخ الإمام والعلامة الهمام الشيخ موسى المغربي، فإن هذه المدرسة غاية المعمورة ووكره، ثم قدم لنا ما تيسر من الزاد، وزاد، حتى بلغ المعتاد من الأجواد وجاد، وقد جرى بيننا وبين الشـــيخ موســـى حفظه الله تعالى في مســـألة إباحة الدخان ما كاد أن يُخرج من تلك النار الدخان، ثم ورد عليه ماء التسليم، ومزاجه من تسنيم، فقمنا وذهبنا مع الجماعة لزيارة الشيخ البسطامي في المدرسة البســـطامية[40]، ودخلناها فوجدنا على ذلك الضريح المبارك جلالة وافية وهيبة ســـنية، واشتهر هناك أن قبر أبي يزيد البســـطامي طيفور، عليه رحمة الرب الغفور، وإنما هو رجل كان على طريقة أبي يزيد البسطامي، كان يربي المريدين، فيقال له البسطامي أيضًا، وقد ذكر الحنبلي في تاريخه من هؤلاء الطائفة البســـطامية جماعة يقول في كل واحد منهم في نسبته: البسطامي، ويقول إنهم دفنوا بتربة ماملا، وإن لهم في ماملا مكانًا يُسمى بحوش البسطامية، فجلســـنا هناك مع الإخوان وقرأنا الفاتحة ودعونا الله بما تيـــسر من الدعاء لنا وللحاضرين ولجميع أهل الإســـلام والإيمان، وتكلمنا على قوله تعالى، يحبهم ويحبونه بلســـان الإشارة، فأطرب الحاضرين ما أبديناه من العبارة.....، وكان هناك في الزاوية البسطامية رجل ساكن

(39) ولد الشـــيخ عبد الغني في دمشق يوم الأحد الرابع من شهر ذي الحجة سنة 1050هـ المصادف للسابع عشر من آذار/ مارس 1641 م.، وتوفي في يوم الأحد 24 شـــعبان، آذار/ مارس 1731، وصُلي عليه في داره ودفن بالقبة التي أنشأها سنة 1126 هـ.

(40) الزاوية البسطامية.

بأهله وعياله، اســمه الشيخ إسماعيل، وكنيته أبو قاســم النجار القدسي، وهو خادم ذلك المكان، وأخبرنا أنه صار له العمى مرة، فدعا الله تعالى وتوسل إليه بنبيه محمد صلى الله عليه وســلم، وعمل قصيدة يمدح النبي بها، فحصل له الشفا ببركة ذلك، وفتح الله بصره وهي قصيدة غالــب أبياتها خارجة عن الوزن، وفيها تحريف من جهة العربية، لكنها حيث قُبِلت في الحــضرة المحمدية، وحصلت الإجابة في هذه القضية، نذكرها برمتها، كما قال الفارض، رضي الله عنه:

لك الشارة فاخلع ما عليك فقد ذُكرتَ ثَمَّ على ما فيك من عِوَجِ

وقد أنشــدنا إياها من فمه مترنمًا بهــا، وهو رجل من الصالحــين الفالحين الناجحين، فحصلــت لنا البركة بذلك ولجميع الحاضرين، وهي مرتبــة على ترتيب حروف المعجم في أول كل بيت منها، وهذه القصيدة:

ألا يا رسول الله يا أكرم الورى ... ويا خير مبعوث إلى خير أمة

بك أستغيث وأستجير وألتجي ... وأسأل ربي أن ينور مقلتي

تغشَّت بحكم الله في اللوح سابقًا ... كما قد قضاهُ ربنا بالمشيئة

ثناءً له إذا خصَّني ببلائه ... ولكنَّني متشوق للقراءة

جميلك أرجو للشفاعة عندهُ ... يُنَّور عيني منةً وبصيرتى

.. إلى أن وصل لنهاية القصيدة:

وصلّي إلهي عدَّ ما حاط علمك ... على المصطفى المبعوث فينا برحمةِ

كذا الأنبياء والآل والصحبُ كلُّهم ... والتابعين لهم ليوم القيامةِ

ويقول صاحب الحضرة الأنســية في الرحلة القدســية، أن للرجــل قصائد أخرى من هذا القبيل في مدح النبي صلي الله عليه وســلم وآله وأصحابه أولي الكمال والتفضيل، وقد نظم لنا تاريخًا في أبيات مَدَحَنا بها، وذكرها صاحب الحضرة الأنسية كما هي تبركًا بمن هي منسوبة إليه.

البسطامية ومنهج «صلح الكل»

في مرحلة السلام المملوكي، ازدهرت القدس وتجاوز عدد سكانها الأربعين ألفًا، وفي قمة هذا الازدهار الذي نشطت فيه فئتا الفقراء والمتصوفة، تبنت إحدى الطرق الصوفية المهيمنة على الحياة الروحية الصوفية المقدسية وهي الطريقة البسطامية منهج «صلح الكل» لتمكين أتباع الديانات الثلاث من تجاوز الكراهية التي رسخها الصليبيون[41].

وقد دربت الطريقة البسطامية مريديها على نظام يشبه اليوغا للتركيز على التيارات الأعمق للرؤى، وركزت على برنامج يدعى «صُلح الكل» لتمكين أتباع الديانات المختلفة من فهم بعضهم بعد قرون من الكراهية[42]، وتجاوز أبناء إبراهيم لعُقَدهم من بعض، والتعرف على بعضهم بعضًا أكثر فأكثر كأقرباء وليس كأعداء.

كانت هذه الرؤية البسطامية الصوفية الخاصة رغم شكلها الصوفي المحدد هي نفسها في مراجعها العميقة، الرؤية الإسلامية العامة منذ الفتح العمري، وقد ترجم العثمانيون في مرحلة تألقهم الأول «صلح الكل» الصوفي المتجذر في الرؤيا الإسلامية العميقة لوحدة الأسرة الإبراهيمية ذلك عقلانيًا أي بشكل قانوني مُؤسَّس، وهو ما يسمح برؤيا أولية تقدر أن بعض جوانب الرؤيا الصوفية للقدس هي نفسها الترجمة المُعقلنة لها في الحقل المؤسساتي، وقد يكون هذا الرأي خلافيًّا، إلا أن نصابًا معينًا قد تحقق بالتأكيد له يسمح به ولو في حد أدنى[43].

(41) الطريق إلى القدس، تأليف شمس الدين الكيلاني، محمد جمال باروت، سهيل زكار، فلسطين في عهد المماليك، الموسوعة الفلسطينية، المجلد الثاني، ابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1 حققه زكار سهيل، دمشق 1988.

(42) الطريق إلى القدس، تأليف شمس الدين الكيلاني، محمد جمال باروت، كارين أرمسترونغ القدس مدينة واحدة وعقائد ثلاث، ترجمة فاطمة نصر، ومحمد عناني القاهرة 1998.

(43) الطريق إلى القدس، تأليف شمس الدين الكيلاني، محمد جمال باروت ص341.

حوش البسطامية:

كان لفقراء البسطامية في ماملا[44] حوش خاص بهم، في أقصى شمال المقبرة اندثرت آثاره. كان يدفن فيه فقراء هذه الطريقة، وممن دفن في هذا الحوش من البسطامية الشيخ عبدالله بن خليل الأسد أبادي البسطامي مؤسس الزاوية البسطامية في القدس المتوفى سنة 794، وأستاذه الشيخ علي العسقي البسطامي المتوفى 761، وتقي الدين الطولوني البسطامي شيخ المدرسة الطولونية المتوفى سنة 843، والشيخ شمس الدين محمد بن خضر الرومي المدرس بالأقصى المتوفى في الستينيات من القرن التاسع، والشيخ شمس الدين محمد الجلجولي قاضي جلجوليا المتوفى سنة 878، والشيخ عمر المصمودي مؤسس زاوية المغاربة في القدس والمتوفى سنة 703[45].

الزاوية الهندية «الفريدية»

تقع بظاهر باب الأسباط، وهي قديمة، وكانت للفقراء الرفاعية قبل أن تنسب لطائفة الهنود، ثم نزل بها طائفة الهنود فعرفت بهم[46]، ولا يُعرف تاريخ إنشائها على وجه التحديد، وذكر أنه في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وفد إلى القدس بابا فريد شكركنج، وهو من مسلمي الهند، وقد وفد للتعبد والإقامة، وقام بتجديدها وإعادة بنائها، وفي سنة 1286هـ/ 1869 – 1870م، جُدد بناؤها ثانية[47].

أُطلق عليها الزاوية الهندية أو الفريدية، نسبة إلى مؤسسها العالم الصوفي الهندي الشيخ بابا فريد شكركنج الذي زار المسجد الأقصى، وأقام في ناحية تابعة للأوقاف إلى الشمال من

(44) مقبرة ماملا «مأمن الله» هي كبرى مقابر بيت المقدس الإسلامية وأوسعها شهرة.

(45) أجدادنا في ثرى بيت المقدس، الدكتور كامل جميل العسلي، دراسة أثرية تاريخية لمقابر القدس وتربها وإثبات بأسماء الأعيان المدفونين فيها.

(46) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ج2 ص 100.

(47) كنوز القدس (الأنس الجليل 2/ 46، خطط الشام 6 / 150، الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى/ 77، معاهد العلم في بيت المقدس/ 362).

المسجد الأقصى أربعين يومًا[48]، وقد وفد للتعبد والإقامة، وقام بتجديدها وإعادة بنائها، وفي سنة 1286هـ/ 1869 – 1870م، جُدد بناؤها ثانية[49]، ثم توافد المسلمون الهنود إلى المسجد الأقصى واتخذوا من مكان إقامته سكنًا لهم، كما اشتروا الأراضي المجاورة للزاوية وجعلوها وقفًا لله تعالى.

تقع الزاوية الهندية في البلدة القديمة بالقدس بالقرب من باب الساهرة، وتعتبر الزاوية مجمعًا معماريًّا ضخمًا يتألف من طابقين، ويحتوي كل طابق على رواق وعدد كبير من الغرف العلوية والسفلية وساحة مكشوفة ومسجد، إضافة إلى البنايات التي التحقت بها.

وتذهب كثير من المصادر التاريخية إلى أنه في الفترة من عام 1920م حتى قبيل الاحتلال الصهيوني عام 1967م كان يزور المسجد الأقصى أسبوعيًّا ما لا يقل عن مائتي مسلم من بلاد شبه القارة الهندية، وقد توثقت العلاقات الفلسطينية – الهندية بصورة كبيرة بعد قدوم الشيخ ناظر حسن الأنصاري عام 1924م للإشراف على الزاوية الهندية، ومنذ ذلك الوقت استوطن وعائلته القدس وظلّ يرعى شؤون الزاوية حتى وفاته عام 1952م، وقد خلفه ابنه الشيخ محمد منير الأنصاري[50].

هذا وكان قدوم الشيخ الأنصاري إلى فلسطين عام 1924 وبتنسيق بين مفتي القدس الشيخ أمين الحسيني من جهة وزعماء جمعية الخلافة الهندية مثل الشيخ شوكت علي والشيخ محمد علي والشيخ حكيم أجمل خان من جهة أخرى، وتجدر الإشارة إلى أنه سقط على الزاوية

(48) جهاد سويلم، مجلة فلسطين المسلمة 1998 العدد الخامس السنة السادسة عشرة مايو 1998 / محرم 1419.

(49) كنوز القدس (الأنس الجليل 2/ 46، خطط الشام 6/ 150، الحركة الفكرية في ظل المسجد الأقصى/ 77، معاهد العلم في بيت المقدس/ 362).

(50) عام 2019 منح رئيس دولة فلسطين محمود عباس، الشيخ محمد منير ناظر حسن محمد منير الأنصاري، شيخ الزاوية الهندية في القدس ومتولي أوقافها، نجمة القدس من وسام القدس تقديرًا لدوره في تعزيز العلاقات الفلسطينية – الهندية، وتثمينًا لجهوده في خدمة ورعاية الوافدين إلى المدينة المقدسة، والحفاظ على وقف الزاوية الهندية، للتفاصيل (https: / /www.plo.ps /ar /article /50793)

الهنديــة ما لايقل عن 45 قنبلة جراء القصف الصهيوني عام 1967م، مما أدّى إلى تدمير ثلث مساحتها، واستشهد حينها كل من زوجة الشيخ ناظر الأنصاري وابنته أمينة وحفيده سعيد، فضلًا عن خمســة عشر جريحًا، ومع كل هذا، إلا أن عائلة الأنصاري بقيت مرابطة في ساحة المسجد الأقصى[51].

تتكــون الزاوية من مجمع معماري ضخم يضم عدة بنايــات تهدّم أكثرها، فقد تعرضت أجزاء منها للخراب من جراء حرب 1967م، وأما الأجزاء التي بقيت منها، فيكوّن بعضها جزءًا من وكالة الغوث، ويكوّن بعضها الآخر مدرســة لرياض الأقصى الإسلامية، ويضم مســجدًا، وساحة مكشوفة، وفيها تســكن عائلة الشيخ ناظر حســين الأنصاري الهندي، وللزاوية أوقاف متعددة، ومنها وقف يقع في باب حطة.

ويذكر أن الحجاج المســلمين من الهنود، قدموا إلى المدينة بعد أداء فريضة الحج وأقاموا فيها، واختلطوا بمرور الزمن مع السكان المحليين عن طريق الزواج، وقد عاش بعضهم في زاوية خاصة بهم تقع بالقرب من باب الساهرة[52].

ولقد تبرع لهذه الزاوية بعض أغنياء الهنود، ومنهم نظام حيدر آباد، وصادق محمد خان، بأموالهم، فأضافوا إليها «1924 – 1943» العمارات الجديدة، وفي هذه الزاوية مسجد بني في أواخر القرن التاسع عشر[53].

وعلى حدّ وصف المرشــد الســياحي والباحــث في مدينة القدس روبين أبو شمســية، فإن الزاوية الهندية تقع في بداية باب الســاهرة[54] على اليمين صعودًا، والتي ســميت بهذا

(51) جهاد ســويلم، مجلة فلسطين المســلمة 1998 العدد الخامس – السنة السادســة عشرة – أيار/ مايو 1998/ محرم 1419. (انظر كتاب المسلمون الهنود وقضية فلسطين د. تيسير جبارة، دار الشروق 1998).

(52) مدينــة القدس وجوارها خلال الفترة 1215 – 1245 هـ/ 1800 – 1830 م، الدكتور زياد عبد العزيز المدني الطبعة الأولى 1996 م.

(53) تاريخ القدس، عارف باشا العارف.

(54) باب الساهرة هو أحد أبواب القدس القديمة الثمانية، يقع في الركن الشمالي من المدينة.

الاسم لأن معظم روادها والقائمين فيها هم الهنود الذين يأتون إما زائرين لمدينة القدس أو القادمين لتقديس حجتهم، وعلى الأرجح يعود بناؤها للقرن الثالث عشر أو الرابع عشر، لكن في بداية الفترة العثمانية جاء إلى هذه المدينة متصوف هندي يدعى فريد بابا كنج، قام بترميم هذه الزاوية ثم نذرها لزوارها من الهنود.

ويضيف أبو شمسية إنه في منتصف الفترة العثمانية أسندت الزاوية الهندية لعائلة الأنصاري المقدسية، وهم قائمون عليها ليومنا هذا، والزاوية الهندية تبدأ بمدخل ضخم مبني بطريقة نصف برميلية، في رواقه على جانبيه عمودان رشيقان وغير مزخرفين زخرفة واضحة، على جانبيه شبابيك مقوسة يعلوها كوتان وتعلوها زخرفة سلجوقية، يؤدي بابه إلى ساحة تجتمع حولها الغرف، وفي الواجهة مسجد صغير وعلى اليمين قبر الباني أو المعمر، وتبلغ مساحتها سبعة دونمات، ويبدو واضحًا اختلاف لون الحجر عن غيره وهو نظام الأبلق[55] الذي يعود للعصر المملوكي.

ويشير أبو شمسية إلى أنه: في عام 1964 تم تأجير جزء من الزاوية الهندية لوكالة غوث اللاجئين، حيث تستخدمها لتوزيع المؤن والمساعدات العينية لفقراء مدينة القدس واللاجئين فيها، وجزء آخر تم تحويله إلى عيادة صحية[56].

إسهام مسلمي الهند في النشاطات الوقفية «الزاوية الهندية»

تحت عنوان «إسهام مسلمي الهند في النشاطات الوقفية والأعمال الخيرية في فلسطين، دراسة تاريخية في ضوء الوثائق البريطانية» تناول صاحب عالم الأعظمي الندوي[57]، مفهوم

(55) الحجر الأبلق: نوع من الفنون الهندسية الإسلامية التي كانت تتسم بها العمارة في بلاد الشام ومصر وبعض مناطق الجزيرة العربية، يغلب عليها نقوش وزخارف جميلة ذات ألوان مختلفة وكانت تركب فوق أبواب القاعات أو في داخلها.

(56) المركز الفلسطيني للإعلام:

https: / /palinfo.com /news /2016 /163320 /07 /01 /

(57) زميل باحث بمركز حسن بن محمد آل ثاني للدراسات التاريخية، الدوحة، قطر وقت نشر هذا البحث.

علاقة الهند الإسلامية بفلسطين عبر دراسة وجود الهنود فيها وموقفهم من الأوقاف الإسلامية في الأماكن المقدسة، لاسيما في القدس، مبينًا إسهامات مسلمي الهند في إنشاء الأوقاف في فلسطين في العصور الإسلامية وفي زمن الاستعمار البريطاني، وخصوصًا جهود حكام بعض الإمارات الإسلامية الهندية في إقامة المنشآت الدينية والاجتماعية الوقفية وترميمها وإصلاحها.

ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على إسهام مسلمي الهند في النشاطات الوقفية والأعمال الخيرية في القدس في العصور الإسلامية، وعلى طبيعة العلاقات بين مسلمي الهند والأماكن الإسلامية المقدسة ومنها القدس، مع بيان موقف مسلمي الهند من المشروعات الوقفية والخيرية في القدس في زمن الاستعمار البريطاني، وقد اعتمد البحث في الأساس على الوثائق البريطانية المحفوظة في دار الوثائق الهندية بدلهي «National Archives of India».

حاول البحث إبراز إسهام الحكام الهنود في الأعمال الخيرية والإنسانية بدراسة دورهم، من خلال الوثائق البريطانية والمصادر الأردنية، في تقديم المساعدات المالية والطبية لفلسطين ولدول الجوار، ولإنفاقها لصالح اللاجئين الفلسطينيين، قبل استقلال الهند من براثن الاستعمار البريطاني وبعده.

أوقاف مسلمي الهند في فلسطين في زمن الاستعمار البريطاني

مع أن السيادة الإسلامية في الهند انتهت بعد سقوط الدولة المغولية في عام 1857، وترسخت دعائم الاستعمار البريطاني، إلا أن المسلمين الهنود، لاسيما النخبة منهم، كانوا دائمًا يتطلعون إلى توطيد العلاقات بالدول العربية والإسلامية واستمرارها وتطورها.

وقد حافظت التجارة المتبادلة والزيارات الدينية مثل الحج والعمرة إلى الحرمين الشريفين في الحجاز، وزيارة الأماكن المقدسة مثل القدس في فلسطين، وكربلاء والنجف في العراق، على تدفق سنوي مستمر من الأسفار الهندية من الشرق الأوسط والجزيرة العربية وإليهما.

وإضافةً إلى ذلك، كان الحكام والأمراء المسلمون للدول الإسلامية والإمارات الإسلامية

المستقلة في الهند، قبل الاستعمار البريطاني وبعده، يرحّبون بالمهاجرين العرب والفرس من الحجاز وحضرموت ومنطقة الخليج العربي وإيران وآسيا الوسطى للاستقرار تحت رعايتهم وإشرافهم في الهند، ومنهم على سبيل المثال نظام حيدر آباد في الدكن الذي كان لديه اهتمام شديد باستقدام العلماء والأسر الدينية والعلمية إلى إمارته من الدول العربية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي[58].

وإضافة إلى ذلك، حافظت النخبة الإسلامية الهندية على اهتمامها الكبير بشؤون الدولة العثمانية؛ فكانت تعتبرها آخر بقايا السلطة السياسية الإسلامية في المناطق العربية والإسلامية، إذ إن بقية العالم الإسلامي قد استعمرت أو كانت القوى الأوروبية تسيطر عليها سياسيًّا واقتصاديًّا إبان تلك الحقبة التاريخية.

وكان اهتمام المسلمين الهنود بالدولة العثمانية يتجلى في أربعة مواقف على الأقل؛ يتمثل الأول في تقديم الدعم السياسي والعسكري لاستقلال الدولة العثمانية وسلامة أراضيها، ولتحقيق تلك الغاية أسس المسلمون في الهند حركة الخلافة الإسلامية تحت حركة الجامعة الإسلامية، أما الثاني فكان يتأصل في الدعم المالي للمشاريع العمرانية مثل سكة حديد الحجاز، وكان الثالث يتعلق بتقديم المساعدات النقدية للإغاثة من الكوارث الطبيعية والحروب التي دارت بين الدولة العثمانية والقوى الأوروبية، أما الرابع فكان يختص بتقديم المساعدات المالية الكبيرة للنهوض بالمؤسسات الدينية والثقافية الإسلامية والحفاظ عليها، سواء في الحرمين الشريفين أو في القدس وغيرها من الأماكن الإسلامية المقدسة.

وجاء في هذا البحث تبيان إسهامات مسلمي الهند في إنشاء الأوقاف والدعم المالي الذي قدّموه للمشاريع الدينية والثقافية والاجتماعية في فلسطين، في حقبة الانتداب البريطاني، أي خلال الفترة 1918 – 1948، وحتى بعد استقلال الهند.

(58) مجلة أسطور العدد 9 كانون الثاني/ يناير 2019، دورية نصف سنوية علمية محكمة تعنى بالدراسات التاريخية.

يقول صاحب عـــالم الأعظمي الندوي إنه من المعلوم تاريخيًّـــا أن التصوف قد انتشر في القدس في القرنين التاسع والعاشر الهجريين، وأنشئ العديد من الخانقاوات والزوايا للطرق الصوفية الكثيرة، وقامت الإدارة الإسلامية والشخصيات البارزة بإنشاء الأوقاف على تلك المنشـــآت الدينية والاجتماعية والثقافية آنذاك، ويدل على النشاطات الوقفية في ذلك الوقت بعض السجلات القديمة، ومنها أقدم ســـجل وقفي مكتوب عُثر عليه في مدينة الرملة، في فلســـطين، وذلك السجل عبارة عن قرص حجري مكتوب فيه الشروط الأساسية للوقف، ويرجع تاريخ وضع ذلك الســـجل إلى عام 299هـ/ 912م، قام به رجل مملوك اســـمه فائق الحازم بن عبد الله الصقلي مولى المعتمد على الله، وكانت الملكية الوقفية المعنية عبارة عن رباط خصص لنزول التجار والمسافرين والصوفية فيه[59].

ولا شك في أن القدس كانت تُعدّ في تلك الحقبة التاريخية من أهم المراكز الدينية والثقافية في جميع أنحاء العالم العربي والإســـلامي، وكان العلماء والصوفية يسافرون إليها بغية مجاورة بيـــت المقدس، وقضاء الأوقات فيه لتحصيل العلوم والمعارف، وممارســـة التزكية وتهذيب الســـلوك، ومن ثمّ، ليس من المســـتغرب أن كان العلماء والصوفية الهنود يترددون إليها من حين إلى آخر بهدف الزيارة والمجاورة، ومنهم أفراد من الصوفية من الطريقة الجشتية.

ويرجع تاريخ الوجود الإســـلامي الهندي في فلسطين إلى القرن السابع الهجري/ القرن الثالث عشر الميلادي، حينما أنشـــأ بعض الصوفية الجشتية الزاوية الهندية أو الزاوية الفريدية في القدس، وتُعدّ الآن من المنشـــآت الاجتماعية العامة غير الوراثية والتابعة للأوقاف، وتقع تلك الزاوية في مكان مســـاحته 1.5 فدان، وأصبحت من المواقع الرئيســـة للزائرين الهنود الذين كانوا ولا يزالون ينزلون فيه لدى زيارة القدس، ويدير شـــؤونها المجلس الإسلامي الأعلى في القدس على أساس أنه المشرف الأعلى على جميع الأوقاف في القدس.

وقد وثقت نشـــاطاتها الدينية والاجتماعيـــة توثيقًا مكثفًا في المصـــادر العربية والهندية

(59) مجلة أسطور العدد 9 كانون الثاني/ يناير 2019.

والوثائق البريطانية[60]، وحينما زار الرحالة أوليا جلبي[61] القدس في عام 1081هـ/ 1671م، كتب عنها في رحلته، معتبرًا إياها واحدة من أكبر الزوايا الصوفية في القدس، وقد استبدل المبنى القديم بآخر جديد أفضل وأوسع من الأصلي في عامَي 1869 و1870.

وفي عام 1922، طلب الحاج أمين الحسيني من زعيم حركة الخلافة الإسلامية في الهند، مولانا محمد علي جوهر (ت. 1931)، إرسال شخص للإشراف على تلك الزاوية ورعاية شؤونها الإدارية والمالية، وبموجب طلبه، أرسل محمد علي جوهر الخواجة نذير حسن الأنصاري السهارنفوري في عام 1924 الذي أصبح قائمًا على إدارة تلك الزاوية وشؤونها، ولدى وصوله إلى القدس، وجدها الأنصاري في حالة شبه متهدمة، مع وجود عدد قليل من المنازل القديمة المحيطة بها، والتي تضررت بشدة في وقت لاحق من جرّاء الزلزال القوي الذي ضرب المنطقة في عام 1927.

وزار الأنصاري الهند في رحلات عدة لجمع التبرعات لإعادة بناء الزاوية الهندية من جديد في فترة ما بين الحربين العالميتين، وفي الفترة (1930 – 1940)، تمكّن الأنصاري من الحصول على الأموال الكافية من نظام حيدر آباد، مير عثمان علي خان المتوفى في عام 1948، ومن نواب رامبور، ونواب بهاولبور، ورمّم الزاوية وأنشأ بعض المباني الجديدة، ومنها المبنى الرئيس الذي سماه باسم «منزل عثمان» باسم نظام حيدر آباد ولدينا ملف الوثائق البريطانية الذي يحتوي على العديد من الرسائل المتبادلة بين السلطات البريطانية في الهند والقدس وسلطات نواب بهاولبور ونظام حيدر آباد، بشأن إرسال الأموال المتبرع بها إلى القدس لصرفها على أعمال ترميمات الأماكن المقدسة، لاسيما الزاوية الهندية.

يشير البحث إلى رسالة من جانب وكيل الحاكم البريطاني العام بولاية بنجاب إلى وزير

(60) المصدر السابق (تيسير جبارة، المسلمون الهنود وقضية فلسطين، عمّان: دار الشروق، 1998، ص 57 60).

(61) هو رحّالة ومستكشفٌ عثماني سافر عبر أراضي الإمبراطورية العثمانية والأراضي المجاورة على مدار أربعين عامًا ابتدأها عام 1040هـ – 1630م من إسطنبول، حيث دوّن مشاهداته في رحلاته في كتاب مكون من عشرة أجزاء.

الخارجية لوزارة الخارجيــة للحكومة الهندية بدلهي، بعنوان «قيــام دربار بهاولبور بالتبرع بـــ7500 روبية هندية لأعمال الترميــمات لدار الضيافة الهندية الواقعــة في القدس»، وجاء في الرســالة أن الشيخ نذير حســن الأنصاري، ناظم دار الضيافة الهندية، أرسل عريضة إلى مكتب نواب بهاولبور طالبًــا منه المعونة المالية لترميم دار الضيافــة الهندية التي هدمت في حادثة الزلــزال، ووافق مكتب النواب على طلبه، وتبرع بمبلغ 7500 روبية هندية. كما جاء في تلك الرسالة كيفية دفع المبلغ ووصوله إلى القدس لتحقيق الغاية المرجوة.

وقد أبرقت وزارة الخارجية الهندية إلى المندوب السامي في فلسطين عن موضوع التبرع، وأخبرته أن مكتب النواب يريد أن يتم توصيل المبلغ بوســاطة المندوب الســامي، ملتمسًا منه الإشراف على أعمال ترميمات دار الضيافة إن أمكن، وهناك رســائل أخرى متبادلة بين حكومة بهاولبور والســلطات البريطانية في الهند والقدس، تفيد أن مكتب حكومة بهاولبور طلب من بنك ليــودز المحدود Lioyds Bank Limited أن يتم توصيل المبلغ المعني تباعًا، حيث يكون كل تقســيط بمبلغ 2500 روبية لصرفه على أعــمال الترميمات اللازمة، ويجدر بي أن أنقــل هنا ترجمة عربية للرســالة التي بعثت بها حكومة فلســطين إلى الحكومة الهندية لإرسالها إلى إمارة بهاولبور ونص الرسالة كالتالي:

حكومة فلسطين،

مكتب الأمين العام في القدس،

فلسطين، 3 تشرين الثاني/ نوفمبر 1933.

رقم الرسالة: (94/ Y/ 31)

سيدي المحترم،

يشرفنــي أن أتوجه إليكم بهذه الرســالة مع ورقة الإيصال رقــم (31129/ 18)، المؤرخة في 12 تشرين الأول/ أكتوبر 1933، الصادرة عن إدارة الوقف في فلسطين،

مع الإشـــارة إلى رســـالة رقم (94/ Y/ 31)، المؤرخة في 30 أيلول/ سبتمبر 1933 بشـــأن موضوع شيك مصرفي تحت رقم (187/ 16/ 5) والذي تم صرفه من خلال بنك ليودز المحدود الصادر عن إمارة بهاولبور باســـم ســـعادة المفوض الســـامي في فلســـطين لأجل تكميل الدفعة الثالثة لمبلغ مالي وقدره 2500 روبية هندية من مبلغ التبرع المعلن وقدره سبعة آلاف وخمسمئة روبية والذي قدّمته إمارة بهاولبور لترميم الزاوية الهندية وإصلاحها في فلسطين، ويودّ المجلس الإسلامي الأعلى أن يعرب عن خالص شكره وتقديره لإمارة بهاولبور على إسهاماته الكريمة.

التوقيع

الأمين العام للحكومة الهندية،

قسم الشؤون السياسية والخارجية.

وجاء في رسالة أخرى، أرسلتها الحكومة الفلسطينية في نيسان/ أبريل 1932، أن المكتب الرئيس للسلطات البريطانية في القدس تسلّم المبلغ بوساطة بنك باركليز Barclays Bank في القدس الشريف، وقد تســـلّمه منه مكتب الأوقاف بالقدس، وقد أعرب المجلس الأعلى للأوقاف عن شكره وتقديره الشديدين لحكومة بهاولبور لإسهاماتها الخيرية والكريمة.

ومثل حكومة بهاولبـــور، لم تتأخر حكومة نظام حيدر آباد في تلبيـــة دعوة ناظر الزاوية الهندية، الأنصاري، للإســـهام في أعمال ترميم الزاوية الهندية والمنشآت الدينية والاجتماعية الأخرى، وثمة رســـالة عاجلة مـــن جانب مكتب نـــواب حيدر آباد إلى وزيـــر الخارجية للحكومـــة الهندية بدلهي، تحت رقم المذكـــرة (No – 30/ P. – 667/ F.148)، وتفيد أن حكومة نظام حيدر آباد تبرعت بمبلغ 5 آلاف روبية هندية لبناء بعض المباني الملحقة بالزاوية الهندية وترميمها في القدس، وطلب المكتب المعني في تلك الرسالة الموافقة من جانب وزارة الخارجية وكيفية توصيل المبلغ إلى الجهة المستفيدة.

وتحمل الرسالة التالية الموضوع المذكور أعلاه، مع بعض التفصيلات عن كيفية توصيل

المبلــغ المعلوم إلى المســتفيد؛ إذ تفيد أن مكتب حكومة نظام حيــدر آباد طلب من المندوب الســامي في فلســطين أن يســلّم المبلغ إلى المفتي الأعظم، الذي بــدوره يشرف على أعمال الترميمات الضرورية بالتعاون مع الســيد نذير حســن الأنصاري، وتفيد الرسالة أيضًا أن البنــك الإمبريالي الواقع في حيدر آباد طلب من جانب حكومة نظام حيدر آباد تحويل المبلغ المعني إلى المســتفيد في فلسطين، وقد أرسلت السلطات البريطانية في القدس خطابًا يفيد أن السلطات البريطانية والمندوب الســامي لا مانع عندهما أن يصل المبلغ المعني إلى فلسطين، ولكن من الضروري أن يصل ذلك بوســاطة الســلطات البريطانية التي، بحســب اعتقاد المندوب الســامي، لا ترى أنها ســوف تشرف على أعمال الترميمات لتلك المنشآت الدينية، ويضم الملف نفســه بين دفتيه رســائل أخرى مماثلة تحمل في طياتها كلمات الشكر والتقدير التي وجّهها المجلس الأعلى للأوقاف في القدس إلى حكومة نواب حيدر آباد على إسهاماته في الأعمال الخيرية في فلسطين.

وفي الفــترة (1939 – 1947) أصبحــت الزاويــة الهندية مركزًا محوريًــا للجنود الهنود المتمركزين في الشرق الأوســط، والذين قاموا بإنشاء صالتين كبيرتين وأطلقوا على إحداهما جناح «ترافانكور»[62]، وعلى ثانيتهما «جناح دلهي»، وبحلول عام 1945، شُيِّد المبنى الجديد للزاويــة كما أجريت الإصلاحــات والترميمات على بعــض المباني التابعة لهــا، وبناء عليه أصبحت الزاوية مؤسســة حيوية، وحينما زارها القائد العام المساعد لجيش نظام حيدر آباد، اللواء السيد أحمد العيدروس، دوَّن في كتاب الزائرين بعض انطباعاته: «لقد قام الشيخ نذير بتحويل القدس إلى الهند الصغيرة»[63].

لقد قصــف الجيش الإسرائيــلي الزاوية الهندية أثنــاء الغارة الجوية عــلى القدس في 9 حزيــران/ يونيو 1967، والتي أدت إلى مقتل زوجة نذير حســن الأنصــاري، وابنته أمينة

(62) كانت إمارة ترافانكور تقع في كيرلا جنوب الهند، وتعد أغنى إمارة في الهند بعد إمارة نظام حيدر آباد.

(63) المصدر السابق مجلة أسطور، (انظر: كتاب الزائرين المحفوظ لدى الزاوية الهندية).

وابنه أحمد البالغ من العمر ست سنوات، وبموجب طلب الحكومة الهندية، نقلت القنصلية البريطانية الأسرة من القدس إلى بيروت، ومنذ عام 1992، تقدم الحكومة الهندية مساعدات مالية لهذا المَعْلَم التاريخي الديني لترميمه وإدارة شؤونه المالية والحفاظ عليه، ويُعطى ناظر الزاوية ووصيها تلك المساعدات المالية، وقد اهتم الهنود بزيارتها كلما سنحت لهم فرصة مواتية، وسُجّلت سلسلة من زيارات الشخصيات الهندية الدينية والسياسية البارزة لها منذ ثلاثينيات القرن الماضي، وقد زارها رئيس الوزراء إندر كمار كجرال في عام 1996، ووصفها بأنها منتجع هندي ويقدم خدمة ضيافة رفيعة المستوى للضيوف والزوار.

والناظر الحالي على تلك الزاوية هو الشيخ محمد منير الأنصاري، ابن الراحل نذير حسن الأنصاري المتوفى في عام 1951، والذي اختير بموجب توصيات المجالس والمسؤولين المحليين في القدس، وعليه وافقت المحكمة الشرعية في القدس على اختياره ناظرًا لها، وهو المنصب الذي يشغله منذ ذلك الحين، هذا، ويتضح من بعض الوثائق أن الزاوية الهندية كانت واحدة من بين العديد من الأوقاف الإسلامية الهندية في فلسطين في العصر الإسلامي، وذلك طبقًا للوثيقة التي عُثر عليها في المحكمة الشرعية في القدس، ويرجع تاريخها إلى عام 1067هـ/ 1656م، وهي توثق أحد الأوقاف التي أنشأها رجل هندي اسمه صالح بن جواهر الهندي الكشميري، وكان الوقف المعني المذكور سابقًا عبارة عن منزل أو دار ضيافة خاصة للزوار الكشميرين للقدس.

ولم تقتصر أوقاف مسلمي الهند على القدس، بل اشترى المسلمون الهنود بعض الأراضي في مدينتي رام الله وغزة وجعلوها وقفًا مؤبدًا، ففي مدينة غزة أنشأ المسلمون الهنود بعض المحلات والدكاكين، وجعلوها وقفًا لينفق ريعها على الزاوية الهندية، وأنشئت تلك الأوقاف من الأموال التي قدّمها الشيخ نذير الأنصاري قبل عام 1948 لحسن يوسف أبي شعبان الذي أصبح ناظرًا على تلك الأوقاف، ويوجد لديه بعض الوثائق الرسمية لتلك الأوقاف، ويذهب دخل المحلات التجارية إلى دائرة الأوقاف في غزة.

مخاطر تهويد الزاوية الهندية

تكتسب الزاوية الهندية أهميتها نظرًا لكونها مقرًا يتوافد عليه السفراء والوزراء الهنود على امتـــداد قرون طويلة، ويلتقون فيها القيادات الفلســـطينية، لكن أخطر ما تواجهه محاولات التهويد الإسرائيلية الزاحفة إليها باســـتمرار، وتشـــهد هذه الزاوية محاولات تهويد من قبل الاحتلال الإسرائيلي، حيث بدأت هذه المحاولات بالاســـتيلاء على بيوت مقدسيين عرب حولها، وما زالت محاولات الاســـتيلاء مستمرة، بالإضافة إلى أنه قد تمت إقامة نقطة مراقبة عسكرية لجيش الاحتلال الصهيوني على سورها من الجهة الجنوبية الغربية[64].

وما يؤكد تلك المخاطر ما نشره موقـــع الجزيرة نت في 25/ 8/ 2016 بأن الزاوية الهندية تحيط بها خمس بؤر استيطانية، وبحسب الشيخ الأنصاري فإن المستوطنين حاولوا اقتحامها عدة مرات من أحد الأبـــواب الخلفية لتنفيذ أعمال بناء وتوســـعة، لكن العائلة تصدت لها ومنعتهم من إتمامها[65].

(64)https: / /qudsinfo.com /pics /%d8%a7%d9%84%d8%b2%d8%a7%d9%88%d9%8a%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d9%87%d9%86%d8%af%d9%8a%d8%a9-%d8%b2%d8%a7%d9%88%d9%8a%d8%a9-%d8%a7%d9%84%d9%87%d9%8-6%d9%88%d8%af /

(65) https: / /www.ajnet.me /politics /201625 /8 / /%D8%A7%D9%84%D8%B2%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%86%D8%AF%D9%8A%D8%A9-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D9%82%D8%AF%D8%B3-%D9-%85%D8%AA%D8%B9%D8%A9-%D8%AA%D8%A7%D8%B1%D9%8A%D8%AE%D9%8A%D8%A9